

## الفصل الخامس والخمسون

### في أغرب غرائب مصر وطلاسمها وعجائبها وحرف أهلها

سوف أتحدث عن لون بشرة شعب مصر، أم الدنيا، وحرفه بقدر وقوفى على حقيقة أمرها.

ومصر التى تحدثت عنها آنفا على وجه التفصيل هى «مصر القديمة» أى مدينة «الفسطاط» التى كانت عامرة فى الزمان الخالى. ومصر الحديثة ليست أحد أحيائها.

فقد أرخ علماء العالم بقولهم: إن حدود مصر تمتد من رشيد ودمياط والإسكندرية إلى إبريم وقلعة الصاى فى مسافة غاية فى عمرانها تقطع فى ثلاثة أشهر على ضفاف النيل حتى إن الرسائل كانت تسلم من يد إلى يد فتصل من رشيد إلى أسوان وأسنا والمنيا والصعيد العالى. فكانت مصر العتيقة مدينة مستبحرة العمران تتقارب قصورها العالية على ضفتى النيل بحيث يستطيع الديك أن ينتقل من سقف إلى سقف ويصل من مدينة بولاق ومصر العتيقة إلى مدينة «مقدونية» وهى موضع أثر قدم النبى ﷺ.

وكان أحد فروع نهر النيل يمتد من شمال مدينة القاهرة إلى عين شمس بمسيرة ست ساعات مستبحرة العمران على ضفتى النيل، كما أن أحد فروعه كان يبلغ مرحلتين من القاهرة حتى الفيوم وما بين ذلك حدائق وبساتين ولا يخلو موضع فيها من زرع. وهذا مما يجعله فى النظر أحسن وأجود الأقاليم، كما أنه أكثر الأقاليم خيرات وأكثرها قرى. وفى جوف هذه الأراضى من أرض مصر كنوز عظيمة ودفائن جسيمة. يقول مؤرخ العالم الشيخ المقرئى: إنه لا يخلو ذراع من أرض مصر من كنز قديم.

وفى أيامنا تلك يعثر على أكثر من كنزين فى كل عام. وهذا ما يبين إلى أى حد بعيد كانت ضفة النيل معمورة.

وقد نزلت فى شأن مصر آيات قرآنية على الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول عز من قائل: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعَيُْونٍ (٢٥) وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (٢٦)﴾ [الدخان: ٢٥ - ٢٦]، وقد فسر المفسرون هذه الآية بقولهم أن المقصود منها أرض مصر ونهر النيل.

وقد دعا موسى - عليه السلام - على مصر وشعبها بسبب ظلم فرعون وسوء ما صنع فتبدلت من عمرانها بخراب ومن بساتينها بتراب. وفي ذلك يقول عز من قائل: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وعلاوة على خراب مصر بعد عهد فرعون يقول الحكماء: إن مصر وإن كانت قد تخربت سبع مرات فلا شك في أنها عمرت كذلك سبع مرات.

أما محيي الدين بن عربي فيقول في كتابه «الفتوحات المكية»:

«إن مصر بعد عام ١١٠٠ سوف تعمر إلى حد أن ذراعا من أرضها في منطقة صحراوية أو منطقة تعلوها القمامة سوف يباع بألف دينار من ذهب، وسيأتي إليها «ابن كعب» من سلاطين آل عثمان فتطيب له مستقرا ومقاما ويتخذها حاضرة للملكة، وسيدور الفلك بما يحدث بها من أثر فيشيد شعبها المدن في الصحراء حتى حدود مكة والمدينة ويجعلونها مروجاً وحدائقاً، وسيظهر بها أنهار كأن مياهها ماء الحياة فتصبح كل أكنافها رياضاً وغباباً وتظهر فيها الضواري. وسيجري بحر السويس من مدينة (بلييس) ويصب في البحر الأبيض، وسيفتح طريق بين غزة وقبرص تسير فيه القوافل، وسيجري بعض الملوك ذوى الهمم ماء النيل إلى جبل الجوشى في مصر، وسيتفجر الماء الحار في ثلاث آبار في القاهرة».

هذا ما ذكره ابن عربي في كتابه «اللهم يسر يا ميسر».

### - عجيبة:

والواقع أن ذوى السن من أهل القاهرة يقولون: إننا منذ سبعين عاما لم نكن نعرف في مصر الحدائق ولم نشاهد إلا حديقة قايتباى في «قره ميدان» وأشجار النبق والجميز هنا وهناك خارج القاهرة. ولم نعرف غيرهما فاكهة، والآن ينمو في مصر عشرون نوعا منها ويهطل المطر في العام وكان قطراته الجوز وقد لا يهطل قط.

ولم نعرف فسى مصر أحد يلبس الفرو فكان لبسه عيبا إلا للبكوات. ولم يكن يحل موسم الشتاء. أما الآن فيشتد برد الشتاء ويغزر المطر فصرنا نرتدى الفرو ليقينا شدة البرد.

وفى عهد كستخدا إبراهيم باشا اتفق أن نزل الثلج فى الصباح على مجرى العادة فجعل الأرض بيضاء وفى تلك الأوقات كذلك كان البرد ينزل وكانت الحبة منه تزن أكثر من ثلاثين درهما وعندما كان أبناء العرب يرون الثلج يسأل بعضهم البعض قائلا: إيش هذا؟

وكان بعضهم يقول: «إن القطن نزل من السماء»، أما الترك فكانوا يحمدون الله ويأكلونه. وعندما كان العرب يمسكون الثلج بأيديهم كان يحرقها كأنه النار فكانوا يقولون: «هذا مثل القطن ولكن ناره قوية».

وعندما كانوا يشاهدون البرد يقولون: «وقع من السماء بيض الدجاج». وحمدا لله فقد اعتدل جو مصر يوما بعد يوم ومضت شدة الحر وهطل غيث الرحمة مما غمر مصر بالخير فما وجد مثلها على وجه الأرض. وأصبحت «أم الدنيا» كأنها العروس فى زيتها، وبدأ المفتونون بها الاحتيال لصيدها.

### أصل تسمية مصر «بأم الدنيا»

تضم مصر ما فى أنحاء الدنيا من جميع المخلوقات والمثلثين والسبعين، واللغات المائة والأربعين، والله يسط الرزق لهذا القدر من المخلوقات كرامة لمصر ولذلك تسمى بأم الدنيا.

وإذا ما ذهبت إلى أى مدينة فى مصر ونظرت فيها نظرة تأمل فلن تجد أحداً يتجاوز الآخر من شدة الزحام، وفى الطريق العام لا يمكن أن تسمع إلا عبارات مثل: «ظهرك وجنبك، ووشك ويمينك، ويسارك» ولا يمكنك المرور بسهولة من داخل الأسواق من شدة ازدحامها بالخيول والبغال والجمال والحمير والسائقين.

وأهل مصر جميعا من الفلاحين الكادحين، لذا يعملون مثل «فهاد» مما يعود بالنفع على مصر. ويسمونها أم الدنيا لأنها تطعم هذه الدواب والمخلوقات كافة وتطعم الدنيا بأسرها وكأنها أمها وتصدر كل سلعتها إلى جميع أرجاء الدنيا.

وإذا ما قحطت الدنيا بأسرها والعياذ بالله فإن مصر تطعمها كأنها أم.

أما إذا قحطت مصر - حفظها الله - فإن جميع بلدان الدنيا تعجز عن إطعامها، ففي مصر أكثر مما في الدنيا بأسرها من دواب ومخلوقات، كما أن أهلها كذلك لا يقعون تحت حصر. ومن ظلم وعسف جندها أصبح أهلها كقوم فرعون، ولأنهم بالغوا في إظهار اسم «يا قهار» فقد حقر أهلها وذلوا واستحوذ جنود السلطان على كل خيراتها وبقي الفلاح ذليلاً.

وفى شأن مصر وشعبها قال «كعب الأحبار» - رضى الله عنه - مصراعاً على لسان مصر هو: «خلق الله الغنى بمصر فقال الذل أنا معك».

والواقع أن الضعاف والفقراء والأذلاء من أهل مصر كثرة كاثرة، حتى إنه فى عام (١) على عهد عبد الرحمن باشا على الرغم من كثرة الغلال لسوء تصرف الحكومة احتكرها الأغنياء فقحطت مصر قحطاً عظيماً لدرجة أن بعض الفقراء أكلوا الميتة، والبعض كان له قميص واحد يشترك فى لبسه مع زوجته، فكانت تلبسه نهاراً ويلبسه هو ليلاً.

وكانوا يعيشون على عشرين حبة من الفول فى اليوم. إلى هذا الحد كان الفقر وكانت كثرة الفقراء. لأنه عندما تحصل الخزائن من الرعايا والبرايا وهى إحدى وثمانون خزانة كان مئآت الآلاف من الناس يفلسون ويخلو وفاضهم. وهذه الخزائن المذكورة كانت تحصل بعد خمسة وسبعين يوماً من الحصاد. وباستثناء الماعز والأوز والحطب كانت ضريبة الجمرك تحصل على كل ما يطير فى السماء وما يدب على الأرض وما يسبح فى الماء وكل الأشياء «مقاطعة» حتى إن الفقراء المعدمين ممن هم فى أمس الحاجة إلى الفلوس الأحمر يؤدون الضرائب للحكومة وهم مقاطعة.

### - عجيبه أخرى:

ومن عجب أن بعض الفلاحين كانوا يسوقون أسراباً من الأوز فى شوارع القاهرة لبيعها وفى هذا الزحام كان الناس يدهمون بأقدامهم أسراب الأوز هذه فيجعلونها وكأنها رمال، ولكن لم تكن تفرض عليها ضريبة، وما عدا ذلك كانت تفرض عليه الضرائب والعشر السلطاني.

(١) بياض فى الأصل.

### - إحدى عجائب المضحكة ممن تحصل منهم الضرائب:

وكثير من الفلاحين يقيمون لهم أكواخا على ضفة الخلجان ويسكنونها، وإذا ما أراد أحد أن يشتري أوزة أو بطة كان يمضى إلى سكان هذه الأكواخ وإذا ما قالوا لأحدهم يا حاج أعطنا أوزة أو بطة. كان العربي يلبس القرعة التي بجانبه على رأسه ويمسك في يده أربعين باعا من خيط الكتان ويقفز في الماء ويبقى من يطلب البطة على الشاطئ ويسبح العربي في الماء ويقرب من الأوز والبط ويسندس بينهم ويربط أقدامهم بالخيط الكتاني الذي في يده فلا تشعر به هذه الطيور لأن ما يطفو بجانبها قرعة والعربي يراقب الطيور من ثقب القرعة ويقيد أرجلها ثم يخرج إلى الشاطئ ويسلم طرف الخيط إلى من يطلب الأوزة فيقبض هذا الشخص على الخيط بيده ولا يجعله ينفلت منه ويجذبه رويدا رويدا حتى تقترب الطيور من الشاطئ، وعندئذ تترك الطيور المسكينة ما وقع لها، فترفرف بأجنحتها. وتأخذ منها ما تريد من الطيور السميكة وتدفع پاره واحدة ثمنا لكل أوزة منها وتطلق النحيل منها.

وهذا العربي المذكور يلتزم بهذه الطيور ويؤدى ما عليه من ضرائب، وإذا ما صاد هذه الطيور غيره غرم. وكل ما يهرب من هذه الطيور المطلوقة يعود حتما إلى هؤلاء الفلاحين وكأنهم سحروا من قبل هؤلاء الفلاحين. وكم لهم من حيل والأعيب شيطانية.

### - من عجائب الفرائب:

وعجبية أخرى من عجائب الزمان هي أنهم يدفنون عشرة آلاف بيضة في روث الخيل وبعد عشرين يوما يخرج منها عشرة آلاف فرخ تبدأ في السير فيحار لذلك عقل الإنسان وهذا أمر غريب عجيب. إلا أن هذا العمل لا يقتدر على القيام به كل أحد، فهناك قرية تسمى «برمة» وهي إحدى قرى سليمان بك أحد قادة الجند في مصر في قضاء «أبيار» بها من توارثوا هذه الحرفة أبا عن جد وتفرخ الأفراخ في روث الخيل عمل اختصاصا به دون غيرهم.

ومن يريد أن يفرخ الأفراخ بهذه الطريقة اصطحب منهم رجلاً يذهب معه حيثما أراد وهناك يشرع فى بناء فرن خاص بتفريخ البيض، وهذا الفرن فرن كبير يشبه فرن الخبز، تعلوه قبة وأسفله فراغ، وداخله مقسم إلى خانات، تفرش الواحدة منها بطبقة من الروث الناعم غير المحترق بسمك إصبعين ثم يضع فى كل خانة خمسين بيضة وينظر فى كل بيضة خلال نور الشمس، فإن كانت البيضة طازجة وضعها فى الفرن، أما إذا كانت فاسدة استبعدها، إذ إنها تنفجر من حرارة الروث وتفسد بقية البيض فلا تخرج منه أفراخ. لذا يضع البيض الطازج وهو يعرف أى بيضة تفرخ ديكًا وأيها تفرخ دجاجة، ثم يغطى هذا البيض كذلك بطبقة من الروث بسمك إصبعين ويضرم تحته نارا هادئة خفيفة تكفى لحرق الروث ولا تحرق الحطب وتدوم الحال على ذلك ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع يتجرد الرجل من ثيابه ويدخل الفرن وهو يقوق كالدجاجة ويقلب البيض بأكمله وفى يده قفاز من ريش الدجاج وبه يقلب الخمسين بيضة التى فى كل خانة ويضع بينهما ريش الدجاج ويحرق أنواعا من البخور يبخر بها البيض، ثم يخرج ويغلق فوهة الفرن.

ولم يطلع أحد على هذا العمل، إلا أننى بقيت فى هذه البلدة اثنين وعشرين يوما واطلعت على ذلك بعينى رأسى. وفى خلال العشرين يوما دخل الرجل القائم بتفريخ البيض الفرن ثلاث مرات وقلب جميع البيض.

وقبل أن تتم الأيام العشرون بدأت الأفراخ فى الخروج من البيض كأنها الجند وأخذت تنبش الروث الموجود داخل الفرن وفى التو أخرجها الرجل من الفرن، إذ إن فى الروث بيض لم يفرخ بعد ولكيلا يفسدونه أخرج الأفراخ التى خرجت لتوها من البيض.

وتسير الدجاجات التى - احتضنت بيضها حتى أفرخ، وخرج منه صغارها - وراء الأفراخ التى خرجت من البيض بالطريقة المذكورة أعلاه.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله فإن لحم هذا الدجاج الذى خرج من الروث ليس له من لذة الطعم ما للذة لحم الدجاج الذى حضن بيضه الدجاج. وهى ثقيلة اللحم والشحم

والحدأة عدو لدود للأفراخ ولهذا يقوم الصبيان على حراستها وإلا اختطفها الحدأة جميعاً في يوم واحد. وليس في مصر طائر في سمائها يؤذى إلا الحدأة.

### - بيع الدجاج بالكيله في مصر:

وتعباً هذه الأفراخ في الكيله وتباع الكيله منها بخمس أو عشر پارات. ولله الحمد فقد شاهدت الدجاج وهو يباع ويشترى بالكيله في مصر. والكثرة الكاثرة من الدجاج الذي يباع بالكيله حكومي، حيث يعهد (الكلارجي باشي) أى القائم على مخازن الطعام الخاصة بقصر الباشا - على أحد الأغوات بتفريخ عدة آلاف من الأفراخ ويذبح منها خمسمائة دجاجة يومياً في مطبخ الباشا لتقديمها إلى أتباعه وحاشيته. ومن لا يرى هذا القدر من الأفراخ التي أفرخت لا يعرف إلى أى حد كانت براعة هؤلاء الفلاحين في مصر، وهذا في الواقع ما لا يدركه عقل. يا له من سر عجيب. مما ينهض دليلاً قاطعاً على أن الله يخلق ما يشاء بقدرته ويحكم ما يريد بعزته.

### - أماره على إعجاز الخلق:

في المنطقه المسماه «سبيل علام» أنواع من الحجارة الملونه، ولحجر سبيل علام ذائع الشهرة في مدينة القاهره، وفي تلك الصحراء أنواع من أحجار الياقوت والماس التي يصل ثمن الحجر منها مائة قرش وخمسمائة قرش. كما تكثر بها الأحجار التي تسمى بعين السمك وعين الهر والتي يباع الواحد منها بخمسة أو عشرة قروش. وفي بعض الأوقات التي تشتد فيها الرياح فتشتت الرمال فتكشف عما لا يحصى كثرة من هذه الأحجار.

ويقوم الحكاكون بحك هذه الأحجار الخام ويصقلونها ويشكلونها فتباع بياض الأثمان بعد أن كانت بلا قيمه. ويعثر على أحجار أئمن من الماس ومن ياقوت «بدخشان»<sup>(١)</sup>. ومؤرخو مصر وعلماءها يزعمون أن «شداد بن عاد» باني إرم ذات العماد هو مشيد سبيل علام، وهذا ما اجتمعت عليه كلمتهم.

والواقع أنه في سبيل علام هذه أسس لأبنية عظيمة هنا وهناك. وعندما خُلع إبراهيم

(١) بدخشان: ويقال بدخشان الآن في أفغانستان، وهي بلاد خصية مشهوره منذ القدم بأحجارها الكريمة لا سيما معدن الياقوت واللازورد. انظر: بلدان الخلافة الشرقية تأليف لسترنج ص ٤٨٠ وما قبلها.

باشا مكث في صحراء سبيل علام سبعة وسبعين يوماً. وكان خدامه يجمعون الأحجار من سبيل علام لكي يلعبوا لعبة «المنقلة»، وكان بعضهم يقدم ما يعثر عليه من أحجار إلى الحكاكين ليصنعوا منها فصوصاً لخواتمهم، حتى أصبح جميع الخدام - يلبسون الخاتم في أصابعهم.

إلى هذا الحد كانت توجد أحجار كريمة ثمينة في صحراء سبيل علام.

### - تأثير أحد الأحجار العجيبة:

وفي سبيل علام هذه حجر ثمين أصفر اللون، يأتي أطباء الفرنجة على الدوام في هذا القبط للبحث عنه. ومن خواص هذا الحجر أنه:

إذا أمسك أحد هذا الحجر بكلتا يديه شعر بالغيثان وقاه ما في بطنه وطالما لم يطرح هذا الحجر من يديه لا ينقطع عنه الشعور بالغيثان. إلا أنه يخلصه من جميع ما في جوفه من أخلاط مثل الصفراء والسوداء ولا يبقى في معدته شيء وبذلك تنظف.

### - من خواص أحد هذه الأحجار:

ثمة حجر ملون مثل الخرز يوجد في المناطق الفضاء من سبيل علام، وهذا الحجر إذا ما ربطته المرأة في خصرها وقت الجماع لم تحمل من أي شخص، ولذا يكثر هذا الحجر لدى بغايا «باب اللوق» في القاهرة. حتى إن والدتي حينما ولدتنى تمزق فرجها بسبب كبر رأسى وخروج هذا الرأس بصعوبة، لذا كانت تستعمل هذا الحجر الموجود في سبيل علام خوفاً من أن تحمل ثانية فكانت تعلقه في خصرها أثناء الجماع مع والدى. وهذا الحجر غير المبارك كان لدى والدى.

### أرض مصر التي تثير العبرة

كان البدو في مصر يأكلون الفئران وهذه حقيقة. ولكن أي نوع من الفئران كانوا يأكلون سنوضح:

في مصر نوع من الفئران يسمى «فأرة الغيط». إنها مخلوق منظره يثير الضحك، تخرج هذه الفئران من جحورها عندما يغمر فيضان النيل أرض مصر كلها وعندئذ تخرج جميع النساء والغلمان إلى الصحارى لصيد الفئران على الشواطئ التي غمرها ماء

الفيضان ويملثون بها الغرائر ويذبحونها في منازلهم ويتناولون لحمها ويبيعون جلودها، وهي غاية في سمنها. وذيلها قصير ونوع منها ذيله طويل، وشفتها العلوية مشقوقة مثل شفة الأرنب. إنها فأرة غبراء، زنة الواحدة منها مائة درهم، ومنها ما يزن رطلاً.

وهذا الحيوان يتكاثر في الأرض بأمر الله ولا يريه أحد. حتى إنه يكوم أرضه أكواما أكواما، فيعرف الصيادون من ذلك أن ثمة فأر بها فيحفرون جحره ويخرجون ما به من فئران ويأكلونها.

ولحكمة لا يعلمها إلا الله فإن بعض هذه الفئران فئران إلى وسطهم أما ما تحت وسطهم لا يفترق عن التراب، بل هو تراب مخلوط بالدم. وهناك فئران على هيئة تراب تنفخ فيها الروح فيما بعد وتصبح لحما، أما إذا أخرجت قبل ذلك من جحورها وتعرضت للهواء نفقت، إذ إنها لم تكتمل نمواً.

سالت عنها العرب، فقالوا: إنها تتولد من الماء في أربعين يوماً.

وسألت قائلاً: هل تتزوج هذه الفئران؟ فقالوا: نعم إنها تتزوج، إلا أنها لا تلد وذلك بأمر الله.

ثم سألتهم عن نفعها، فقالوا: إن لحمها سريع الهضم ومن أكله سمن، وهو جد مقو للباه.

وتلك حكمة عجيبة كذلك، بيد أن طائفة المعتزلة من ضعافى العقول ينكرون هذا من خلق الله، ولكني رأيت ذلك بعيني رأسي وقد دفعت خمس پارات ثم عشر للعربان اللذين يخرجون هذه الفئران من جحورها، فرأيت أن نصفها ذو روح والنصف الآخر من تراب وبعضها مما نصفها دم ونصفها تراب ليس لها روح. وهذا من عجيب صنع الله. أوليس هذا عبرة لمن يعتبر من بنى الإنسان؟، وحسبنا قوله عز من قائل ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً...﴾ [المؤمنون: ١٤].

دليلاً قاطعاً على ذلك. ومن لم يسلم بآراء ومعتقدات المعتزلة ويقر آراء أهل الشريعة يقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٠].  
ويقصر عن القول.

**ذكر أصرة القرى بين الإنسان والنخل وشجر الجوز الهندى الأسود**  
فى كل عام فى قرى مصر يضعون سعة من نخلة ذكر فى قلب النخلة الأنثى وذلك لإتمام عملية التلقيح بين النخلتين. وفى هذا العام تثمر النخلة الأنثى أكثر من خمسة عشر عرجونا<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يصنعوا ذلك لا تثمر النخلة الأنثى.  
والنخلة الأنثى تبيض مرة فى الشهر وهى كالإنسان لها قلب فإذا ما قطعت جفت، أما إذا قطعت سعتها نمت غيره وازدادت النخلة طولاً.  
ويسمون قلب النخلة «قلب البلح» وهو شىء لذيد الطعم مقو للباه، ويستعمله الرجال فى مصر الذين عجزوا عن الباه، إنه فى لون الجبن وطعم اللبن، وتوجد هذه المادة بين ألياف السعف فى رأس النخلة.

ويقولون إن ثمة قرى بين الإنسان وهذه النخلة، فعندما خلق البارئ آدم عليه السلام من قبضة من تراب خلق مما تبقى من التراب النخل وشجر الجوز الأسود الهندى وشجر الوقواق، وما تبقى من التراب خلق منه «بيروح الصنم» أى عبد السلام وهو عشب له شعر ولحية كالإنسان، ومنه الذكر والأنثى، فهو عشب له صفات بنى الإنسان. ويقولون إن هذا العشب خلق كذلك من التراب، «يفعل الله ما يشاء».

#### - أكلة الثعابين الحية:

ومن عجب أن فى مصر قوما يأكلون الثعابين وهى حية، وإذا ما ظهر ثعبان فى منزل أحد جاءوا بأحد من أكلة الثعابين هؤلاء ونفخ فى مزماره، فتجتمع حوله جميع الثعابين فيصارعها ويقبض عليها كلها، ويضعها فى مخلاته ويمضى بها، وبذلك تكون النجاة من هذه الثعابين.

ويقرب هؤلاء من أحد الأشخاص ودون أن يدري هذا الشخص يخرجون من جيبه وحصنه العقارب والأفاعى وقد يخرجون من جنب أحد الأشخاص التفاح والحوخ والعنب فى غير موسم هذه الفاكهة. وفى بعض الأحيان يخرجون من حوض بعض

(١) المرْجُون: العذْق. وهو من النخلة كالعنود من العنب. والجمع عراجين. المعجم الوجيز ص ٤١٢.

الناس ناراً أو ماء، كما يطلبون على أحد أن يظهر لهم عمامته وعندما يرفع هذا الشخص العمامة عن رأسه يتدفق الماء من عمامته أو يخرج منها عقرب أو أفعى، فيطرح الرجل عمامته أرضاً ويولى مدبراً حاسر الرأس بلا عمامة.

وكان إبراهيم باشا رحمه الله تروق له مثل هذه الدعابات، إلا أنها فى الحقيقة مهارة تصل إلى درجة الإعجاز.

#### - جماع فلاحى مصر للتماسيح:

سلف الحديث عن جماع فلاحى مصر فى أسوان للتماسيح فى حديثنا عن المخلوقات التى تعيش فى النيل.

#### - شجرة الجميز العجيبة:

شجرة الجميز فى مصر شجرة ضخمة لا وجود لشجرة أضخم منها وهى تشبه شجرة «الدلب» فى بلاد الترك. وتمتاز شجرة الجميز بضخامتها وظلها الظليل ونسيمة العليل. وأثمارها وطلاسمها على النحو التالى:

إذا ما ظهرت هذه الشجرة فى بستان أحد، اتفق صاحب الحديقة هذا مع بعض الأشخاص ويحمل فأساً ويدخل حديقته ويتسلق شجرة الجميز ويضربها مئآت الضربات بفأسه وإذا ما تجرحت الشجرة يأتى الأشخاص الذين اتفق معهم، ويقولون له لماذا أقدمت على قطع شجرة حية غضة مثل هذه. فيقول الرجل: إنها ملكى وإن أقطعها وهى بداخل حديقتى وهى لا تؤتى أكلاً والمرج لا ينبت فى ظلها ويجب على أن أحرقها.

فيقول الرجال تحت الشجرة: أنقطع شجرة فى هذا الجمال، ما أجمل غصونها وأوراقها، ويبسطون إليه الرءاء ألا يقطعها حتى تؤتى ثمارها وعندئذ يجرى ما يشبه الدم من الثقوب التى أوجدها الرجل فيها بفأسه، فيكرر الرجال الرءاء إليه ويقسمون له أنهم يضمنون أن تشمر هذه الشجرة سبع مرات فى العام ويأخذون الفأس من يده ويطرحونه جانباً ويحيطون جميعاً بالشجرة ويحتضنوها ويحضر أناس آخرون ليشهدوا على ذلك. ومن بعد تخرج هذه الشجرة الثمار من تلك الثقوب التى أحدثها الفأس فيها سبع مرات أو أكثر فى العام.

وثمار الجميز تشبه التين، ولكنها تختلف عنه بعدم وجود جلد داخلها فداخلها فارغ، وتزن الثمرة منه عشرين أو ثلاثين درهما. إنه فاكهة لذيدة الطعم، سهلة الهضم، ومنها الأحمر والأصفر والأبيض.

ومن عجب أن أغلب الثمار تنمو على غصون رفاق، ولكن ثمار الجميز تنمو في جذع في غلظ ثلاثة رجال ضخام. والجميز يثمر بهذه الطريقة بحيث لا يخلو موضع في جذعه من الثمار. إنها شجرة موفورة المحصول.

#### - فوائد ثمار الجميز:

وفي الطب يعد الجميز ذو طبيعة معتدلة، فإذا ما تناولت ثلاث ثمرات من ثماره وشربت عليها الماء قوى نظرك. وإذا ما أصيب أحد بالإسهال وعصر أوراقه الخضراء وشرب عصيرها، زال عنه الإسهال، وكم لقسور جذعها الخضراء من خواص، والأطباء يعرفون من خواصه الطبيعية أكثر مما ذكرنا. إنها شجرة تستحق المشاهدة.

#### خاصية أرض مصر

في مصر يدفنون قرن الماعز في الأرض ويروونه وبعد عدة أيام تنبت منها غصون خضراء.

#### صناعة النشادر

تصنع النشادر في مصر من فضلات الإنسان، وله مصانع عجيبة سبق وصفها فيما تقدم.

#### عملية إنضاج العنب

عندما يكون العنب حُصراً يشعل فلاحو مصر الكبريت ويخرون به هذا الحُصراً فينضج قبل أوانه بشهر. وهذه حيلة شيطانية عجيبة.

### عملية إنضاج الشام والبطيخ

يسمى الفلاحون زبل الحمام «برأس المال» وكانوا يضعونه في جذور البطيخ والشمام فتنضج قبل الأوان بشهر وتمتلء ماء .  
- ميزات أحد الحيوانات العجيبة -

ثمة حيوان صغير يشبه ابن عرس يعيش في مناطق زراعة قصب السكر في مصر، منظره يبعث على الضحك . حتى إنه يربى في بعض المنازل، وهو حيوان أليف يكثر في حدائق الفيوم . والمكان الذي يعيش فيه هذا الحيوان لا تقربه الأفعى ولا الحية وتهرب من رائحته . فهذه الرائحة التي تصدر عن هذا الحيوان تهلك الأفاعى ، إلا أنها تفيد الإنسان . يا لها من حكمة عجيبة .

### ذكر معدن الذهب

على بعد ساعتين من القاهرة وفي الجهة القبلية لها خلف جبل الجيوشى تقع جبال عين موسى والتي تسمى «بجبل بجاميسم» ، وبها تكوينات جيوية حمراء اللون وإذا ما أحرق هذا الخام استخرج منه الذهب . إلا أنه لندرة الحطب فإن نفقات عملية استخراج الذهب تكون باهظة فلا يتحصل للقائمين بهذا العمل أى ربح .  
وفي خلافة الحاكم بأمر الله استخرج الذهب طيلة سبع سنين ، ثم سدت هذه المناجم وآثارها لازالت موجودة إلى يومنا هذا .

وتوجد مناجم الفضة في جبل جالوت غرب القاهرة ، وتوجد كذلك مناجم للذهب في شرق مصر في جبل المقطم المعروف بجبل الجوشى . وتوجد مناجم «الزمرد» في ولاية الصعيد ، ويوجد معدن النظرون في أرض البحيرة ، ويوجد ملح البارود في كل قراها ، كما يستخرج الملح من جميع بحيراتها .

### مدينة عين شمس

كانت مدينة عظيمة في شمال القاهرة بالقرب من المطرية ، تبعد ساعتين عن القاهرة وهي الآن منطقة خربة ، وكانت هذه المدينة حاضرة البلاد في الزمان الخالى ولا تزال بعض آثار أبنيتها العظيمة ماثلة للعيان إلى يومنا هذا . وفيها «مسلة» سامقة كالتى في «آت ميدانى» أى ميدان الفروسية في اسطنبول . يبلغ طول هذه المسلة مائة ذراع ، وعلى

جوانبها الأربعة نقوش باللغة القبطية، وفي ذروتها صورة فارس يمتطى جواداً وعلى رأسه العمامة المجوزة وفي ذلك إشارة إلى مقدم السلطان سليم إلى مصر. وعلى الجوانب الأربعة لهذه المسلة نقوش وزخارف كمنظيرتها الموجودة في ميدان الفروسية باسطنبول.

وفي مدينة عين شمس هذه كثير من الطلائع المعقدة والتي لا وجود لها في أي بلد آخر، ولم تفك رموز هذه الطلائع إلى يومنا هذا، وكل من بذلوا الجهد الجهد لفك رموزها والوقوف على أسرارها دفنوا فيها.

وفي مجمل حديث مؤرخى مصر عن مدينة عين شمس امتدحوا قصرًا كان بها فقالوا:

إن لهذا القصر مائة وثمانون نافذة وكانت الشمس إذا ما دخلته من إحدى نوافذه تجعل داخله منيرا ولذلك سموه «قصر عين شمس».

وفي رواية أخرى أن ثمة ملكة كانت تسمى «عين شمس» هي التي أقامت هذا القصر. وعلى هذا القصر كانت تكمل الشمس مائة وثمانين منزلاً وعندما أتى إلى منزلها الأول تعود. وأثار أبنية هذا القصر ظاهرة إلى الآن، وكان بها كذلك قلعة عظيمة لا تزال أسس جدرانها ماثلة إلى يومنا هذا.

### جبال الأهرام وهى من عجائب الفرائب

تقع جبال الأهرام فى قسبة الجيزة على بعد ساعتين من الساحل الغربى للنيل. وهى ثلاثة جبال، لا وجود لبناء أقدم منها على وجه الأرض، ولا وجود لما هو أعلى منها فكانها «جبال قاف».

إنها جبال غاية فى عظم أبنيتها، وكل هرم منها صنم، ويسمى الهرم الأول «جبل بلهث»، ويسمى الأوسط «جبل مهلوية»، أما الأخير فيسمى «بجبل أبى الهول» وكم من آلاف الروايات والأقوال وردت فى شأن هذه الجبال التى هى من صنع بنى الإنسان، فبعض المؤرخين يذهب إلى أن مشيدها هو «عاد بن شداد»، والبعض الآخر يذهب إلى أن الملك «سوريد» هو الذى أقامها بإيعاز من الكهنة لتكون مقبرة له. وبعد الانتهاء من

بناء هذه الأهرام الثلاثة ملاًها بكنوزه وخزائنه، كما نقل إليها جميع كتب تعاليم سيدنا إدريس، وجميع الأسلحة ووكّل بها إلى بعض من يصنعون الطلاسم، وغطاها بالحرير، كما شيد كذلك مدينة عظيمة على شاطئ النيل ليسكنها سدة هذه الأهرام. وفي فصل الربيع من كل عام يأتي الناس من كل فج عميق ويطوفون حول الأهرام كطواف المسلمين حول الكعبة.

أما ابن جلال فيقول: إن هذه الأهرام كانت تسمى في اللغة القبطية «برابي» لأن أول من بناها هو «برابي بن درمشيل بن مخويل بن خنوخ بن قاين» لذلك سميت باسمه. ومن الناس من يقول: إن ثمة ملكة كانت تسمى «دلوكه» كانت تحكم قبل فرعون وهي التي بنت الأهرام، ولأن هذه الملكة كانت من الفراعنة سميت هذه الأهرام «جبال فرعون»، ومع مرور الأزمان جاء ملوك من نسل هذه الملكة رعموا هذه الأهرام باعتبارها أبنية شيدتها جدتهم. ونفهم من ذلك أنه ربما تكون هذه الأهرام من بناء هذه الملكة المسماة «دلوكه».

والبعض يقول إنها من بناء «تدوره جادو» ودفن كهنة أشمون وأتريب وصاي مع تواريخهم داخل هذه الأهرام.

أما على ضوء ما ورد في تاريخ «الشهابي» فإن أول من بنى هذه الأهرام هو الملك سوريد بن شهلوق بن شرباق بن توميدون بن تدرسان بن هوصال.

وثمة باب مظل على الناحية الشمالية للهرم الواقع في الجهة الشمالية وبداخل هذا لباب وعلى الأحجار في الناحية اليمنى نقوش باللغة العبرية جاء فيها:

(أنا باني الأهرام وقد أتممت بناءها في ستة أعوام، أيسطيع من يجيئون من بعدي بدمها في ستمائة عام والهدم أيسر من البناء. وقد غطيتها بالديباج، أيسطيع الملوك من مدى أن يكسوها بالحصير).

وعندما هبط الخليفة المأمون مصر قادمًا من بغداد عقد عزمه على أن يكشف عن كنز الأهرام وبذل الهمة طيلة سبعة أشهر، فكوم حولها الحطب وأضرم فيه النار وسكب عليها الخلل وضربها بأحجار المنجنيق الضخمة فهدم قدر عشرين ذراعًا منها فعثر على جرة مرصعة بالزمرد بها ألف دينار من ذهب، وكل دينار يزن أوقية، كما عثر على حجر يضم نقوشًا جاء فيها:

«يا من تتوق نفسك إلى فتح هذا القبر للكشف عما به من دفائن، مهما بذلت من جهد جهيد وأنفقت من مالك الكثير لتحصل على المال الجزيل ومهما ازددت طمعًا فسوف ترحل عن تلك الدنيا الفانية».

وحينما شاهد جند المأمون هذا الكلام (أصيبوا بخيبة الأمل)، إذ إنهم بعد أن كابدوا شتى صنوف العناء طيلة سبعة أشهر في هذه الصحراء المترامية الأطراف وأنفقوا من المال ما أنفقوا لم يعثروا إلا على ألف دينار من ذهب.

سبق أن أشرنا إلى باب في الناحية الشمالية بداخله حجر كتب عليه:

«أيستطيع ملوك الأجيال التي تأتي من بعدى أن يكسوا الأهرام بالحصير» فخالها المأمون رموزًا وأمر بها فكسوا نصفها بالحصير المصري وعندئذ عصفت ريح صرصر عاقية أذرت برجاله وحصيرهم في الهواء، فوقع الجزع والهلع في القلوب. ونزولًا على سداد رأى «حسين بن سهيل» وزير المأمون نفضوا أيديهم من هذا العمل ومضوا إلى حال سبيلهم.

وإلى الآن تبدو المواضع التي انهدمت في عهد الخليفة المأمون. وعندما شرع يوسف صلاح الدين بجدد بناء قلعة القاهرة نزع الأحجار من جبال الأهرام وشيد بها قلعة مصر الداخلية والقلعة القبلية. وجاء من الحجارة التي نزعها من جبال الأهرام ومواضع الحجارة التي انتزعها ظاهرة للعيان إلى يومنا هذا.

ذكرت أن باني الأهرام هو الملك «سوريد» وهو القائل «لقد بنيت هذه الأهرام في ستة أعوام فهل يستطيع من يجيء بعدى من الملوك هدمها في ستمائة عام» وإنى أفند زعمه فأقول إننى لو لغمت هذه الأهرام بمائة قطار من البارود الأسود وستة صناديق من

لغم قلعة قاندية فسوف تنسفها جميعا وتجعلها رأسا على عقب وفي تلك الساعة لن يبقى لها من قرار على وجه الأرض .

لكن في الواقع إنني ما رأيت على وجه الأرض أبنية عظيمة مثلها، ولله الحمد إنه في عهد إبراهيم باشا بينما كنا نرعى خيولنا بجوار الأهرام لبثنا أكثر من خمسة أيام للراحة والاستحمام ثم مضينا إلى هناك عدة مرات للفرجة فبلغ مني العجب مبلغه وفي إحدى المرات اتفق أن كان معنا خمسة وأربعون رجلا من رجال الأمير أخور (أى بك الأصطبل) وبهلول أغا وغيرهم وأحضرنا معنا المشاعل والقناديل وقمنا بإزالة ما على الباب الشرقي للهرم الأكبر من رمال تراكت وعندما دخلناه متعوذين باسم الله نظرت في البوصلة والساعة ومشينا في داخله سبعة أقدام ناحية الجنوب في عمر واسع يعلوه عقود حجرية ترتفع عشرين ذراعا وكان اتساع المر عشرة أذرع .

وعلى جانبيه عدة كهوف وقاعات وقباب من الحجر مزدانة بنقوش ذهبية وكأنها خرجت لتوها من يد «بهزاد»، وكانت كل حجرة تغص بعظام وجماجم الأدميين وكل جمجمة منها تتسع لمائة كيلة من القمح، وكما كان هناك من جماجم مختلفة الأحجام بين كبيرة وصغيرة لا يعلم عددها إلى الله .

وثمة عظمة رفيعة مكسوة بالجلد وهي بمقياس شبرى سبعون شبرا وغير ذلك عظام كثيرة وفي أحد هذه الكهوف العظيمة دفنت كثير من الجثث للمحنطة وعدة مئات من الطيور المحنطة بطول سبعين قدما أو أكثر تنبعث منها رائحة كريهة قاتلة كرائحة زبل الغراب وجميعها معلقة من مناقيرها على الصخور . واصطدمت قناديل بعض الرجال بها فاحترقت أجنتها وريشها فأصاب بعضها وجوهنا، وفي تلك اللحظة تقهقر بعض رفاقنا بقناديلهم خوفا من أن ينالهم أذى، ولكني بقيت مع الخمسة والثلاثين رجلاً وسرنا ساعة بكاملها ناحية القبلى بالاستعانة بالبوصلة فوصلنا إلى قاعات - غاية في الفخامة والزخرف، وفي كل منها جثث محنطة لأدميين منها الراقد ومنها الجالس وأطول هذه الجثث لأناس من رجال يوم القيامة وإلى جانب هذه الجثث حصير بال وليف النخيل المغطى بالرمال وتقدمنا من ذلك الموضع ما يقرب من خمسين قدما في

ارتفاع وانخفاض فوجدنا حوضاً كبيراً ممتلئاً بالماء الصافى وعلى الجوانب الأربعة لهذا الحوض جلست طيور مخيفة تخلع القلوب ببشاعتها تشبه العقبان والأور وعندما رأتنا بسطت أجنحتها فسمعنا ما يشبه الرعد وكأنما سالت أدمغتنا من آذانتنا وعرت الخفافيش ملابسنا وقال حملة المشاعل: إن المشاعل على وشك الإنطفاء وجملة القول أننا عندما شاهدنا أجنحة العقبان خلعت قلوبنا من الهول والفرع وما استطعنا أن نحرك أقدامنا بخطوة وانفقنا على العودة فهبت ريح عقيم من جانب هذه الطيور لها إيذاء ريح الشتاء قارصة الجرد، وقلنا كيف يكون مصيرنا إذا ما انطفأت مصابيحنا ومشاعلنا، ولدى خروجنا إذا بنا نرى أن لكل خفاش من تلك الخفافيش فراشة فى حجم الحمامة كانت أجنحتها تصطدم بمشاعلنا ووجوهنا.

وعلى أية حال خرجنا ولدى عودتنا التقينا برفاقنا الذين فروا من قبل وجعلوا يهزأون بنا ويضحكون من وجوهنا الملطخة. ويعلم الله أننا خرجنا سالمين وقد بلغ بنا الجهد مبلغه وأنهكنا التعب والإعياء، إلا أننا شاهدنا أشياء عجيبةً ولا يعلم أحد ما وراء هذا الحوض إلا الله. وهكذا شاهدنا الهرم الأكبر فما رأينا خزانة ولا كترًا وإنما رأينا جثثاً محنطة دفينه.

إلا أن هذا الهرم طلسم ما فى ذلك شك أو ريب لأننا بهتتا عندما بلغنا هذا الحوض المذكور وعندما خرجنا من الهرم كان قد بلغ منا الإعياء مبلغه ولما تنسمننا الهواء دبت الروح فينا - لا يسر الله لنا دخوله ثانية -، بعد ذلك تناولنا الفطور وشربنا القهوة فى خيامنا وطوفنا حول الأهرام الثلاثة.

ويبلغ كل هرم من الهرمين مائتى قدم طولاً وعرضاً وعلى هذا الحساب يكون محيط كل واحد منها ثمانمائة قدم وبعض الأحجار فى قمته يصل حجمها إلى مائتى باع. وفى الجانب الشمالى من الهرم الأكبر الباب الذى دخلنا منه، أما أبواب الأهرام الأخرى فغير ظاهرة. إلا أن هرم أبى الهول غاية فى صغر حجمه إلا أن كلا من الهرمين الآخرين يناطح الفلك. إنها جبال مخروطية الرأس وقد تسلقت الهرم الذى دخلته إلى قمته فكانت ميداناً يتسع لإقامة خيمة ذات عشرة خزائن. وفى بعض الثقوب

الموجودة في الأحجار عثرت على أوكار الشواهين والصقور والحمام والحدأة، وبدت القاهرة كلها تحتى. إنها جبال عالية إلى هذا الحد البعيد.  
وحول هذه الأهرام العديد من الأبنية المطلسة مبنية بالحجر الأسود وإذا ما ذكرت أوصافها لَمَسَّت الحَاجَةُ إلى كتابة مجلد بتمامه.

### تتمة الحديث عن الأهرام

عندما ذهب المبعوث الذى أرسله المقوقس إلى الرسول صلى الله عليه وسلم شرف بالدخول فى الإسلام وهذا المبعوث هو «ذو النون المصرى» الذى ولد فى شرق إخميم بالصعيد العالى وكان فريد دهره فى فصاحته وإبانتة، وبعد أن فتحت مصر دخل ذو النون هذا الأهرام بإذن من عمرو بن العاص وقرأ ما بداخلها من نقوش عجيبة وترجمها إلى اللغة العربية وهذه النقوش هى:

احذر العبيد المعتقين  
والأحداث والجنند المتعبيدين  
والنبط المستعربين

ونص آخر جاء فيه:

يقدر المقـدور  
والقضاء يضحك

أما الهرم الأصغر الذى بناه «قليمون الحكيم» قبل الطوفان ففيه بيت مكتوب هو:  
تدبر بالنجوم ولست تدرى .: ورب النجم يفعل ما يريد

### ذكر عجائب الأشكال الطلسمية لأبى الهول

والذى يسمى فى العبرية «بلميب»

رأس كبير من حجر أبيض فى حجم قبة الحمام، يقع كذلك فى الناحية الشرقية من الهرم الأصغر. ولا وجود لمعالم أخرى لجسم التمثال بخلاف الرأس والجزء الذى خلف الرقبة. فهذا التمثال عبارة عن رأس ليس إلا، ولهذه الرأس وجه متجه نحو الشرق وحاجب وعين وأسنان وأذن وشفتان وعنق. وهى تتسع لمجلس مائة رجل.

وقد صنع هذا التمثال أحد عباقرة السلف، وقد صنع بضربات فأسه هذا الرأس وكان له روحا وكان هذا الرأس يتسم، وأظهر الصانع ذواتب هذا الرأس وكأنه عمل السحر المعجز واستعرض مهارته وبراعته فى ذلك.

وفى الزمان الخالى كان هذا الرأس يتجاذب أطراف الحديث مع الغادى والرائح، فقد كان طلسمًا. فكان يستنبط الأسرار والغيبيات فيتنبأ بمن سوف يعتلى عرش مصر ووقوع القحط والغلاء وتفشى الطاعون وسقوط المطر واحتباسه ومقدار فيضان النيل وعدم فيضانه وما يحدث وما لا يحدث وكل الغيبات الخمس.

وعندما ترامت إلى سيدنا موسى الأخبار عن مكاشفة أبى الهول للأسرار الغيبية جاء إليه - عليه السلام - وبعد حوار طويل قال سيدنا موسى عليه السلام لأبى الهول:

إنك قادر على نطق كل الكلام، فأمن بحق رسول الله، فقال أبو الهول: إننى لا أومن إلا بإدريس - عليه السلام - وعندئذ دخل موسى غَضَبٌ لا مزيد عليه فانهال عليه ضربا بعضا فى يده محطما أنفه وفاه، وقال له: اسكت يا ملعون. ومضى وإلى الآن منذ عهد سيدنا موسى لم يتكلم أبو الهول، كما أن أنفه وفمه محطمان من ضربات عصاه.

إنه أثر عجيب من صنع الإنسان، وفى رواية أخرى أنه من صنع السحرة. لكن الناس يقولون: إن امرأة سرق منها مال كثير، فسألت هذه المرأة أبا الهول قائلة: من سرق مالى؟ فقال: إن فلانا هو الذى سرقه، فانطلقت المرأة فى الحال إلى القاضى وكبس بيت الرجل؛ فوجدوا أموالها غير منقوصة، فمضى الرجل السارق إلى أبى الهول وصعد رأسه وتغوط عليها، فبطل أثر الطلسم منذ ذلك الحين وسكت عن الكلام.

إلا أن رواية موسى - عليه السلام - صحيحة، إذ كان من أولى العزم وبمعرفة ضرباته أصابه البكم والصمم. وأبو الهول الآن رأس يأتى الناس لمشاهدتها. وعلى مقربة من رأس أبى الهول موضع آخر يستحق المشاهدة. إنه باب دير قد سد بالرمال والغشاء، ولكن فى العقد الذى يعلو يسمه بابه العديد من النقوش المحفورة على

الرخام. وعلى الرغم من براعتي في قراءة شتى الخطوط إلا أنني لم أر خطأ يشبه هذا فكان من المحال قراءة حرف من حروفها.

### طلسم أبي الهول

جاء في تاريخ ابن جلال أنه عام ٧٨١ كان هناك من يسمى «محمد الصوفى» يسكن خانقاه الصلاحية وكان شخصا متعصبا إلى حد جد بعيد، زاد في تحطيم أنف ونم أبي الهول مدعيا أنه صنم وقد فعل ذلك دون مراجعة القاضى والاستئذان منه واتفق أن عصفت ريح شديدة فى هذا اليوم فغمرت مزارع الجيزة بالرمال واستحال زراعة الغلال والبرسيم، فمضى أهل الجيزة بمحمد الصوفى هذا إلى القاضى، وصاحوا قائلين: إنه غمر مدينتنا بالرمال، وعندما استجوب محمد الصوفى قال: لقد نهيت عن المنكر. وما أن سمع الأهالى ذلك منه حتى مزقوه كل ممزق ودفنوه إلى جوار أبى الهول. وإلى يومنا هذا من أتى لمشاهدة أبى الهول رجم قبر هذا الصوفى الضال.

### نعم الله على مصر

لا وجود للجراد قط فى أرض مصر، وإذا ما جاءها من بلد آخر هلك، حتى إنه فى عهده (صلى الله عليه وسلم) أصاب الجراد مكة والمدينة، وأخطر الصحابة النبى (صلى الله عليه وسلم) بما أصابهم ورغبوا إليه بأن يدفع عنهم شر هذا الجراد، فبسط صلى الله عليه وسلم يده ودعا الله قائلاً: اللهم ادفع هذا الجراد إلى كنانتك مصر. فقال الصحابة (رضوان الله عليهم): يا رسول الله إن خيرات مكة والمدينة تأتي من مصر، فإذا بلغ الجراد مصر وأتى على محاصيلها وقع القحط والغلاء. فقال صلى الله عليه وسلم: إن مصر فى حى الله فإذا ما نظر إليها أحد بعين الازدراء والتحقير وظلمها وعات فيها فسادا هلك.

وهذا واقع لا مرأى فيه، فإلى الآن لا وجود للجراد فى مصر لأنه إذا بلغها هلك وللجامع الأزهر طلاسّم تمنع دخول الحمام والذباب والأفاعى والحيات وغيرها من الهوام، ومفعول تلك الطلاسّم مستمر إلى الآن.

- طلسم آخر ( السفينة الحجرية ):

ثمة قلعة عتيقة تقع داخل قلعة الكيش بمدينة القاهرة، بالقرب منها زاوية السلطان «جاولى» وأسفل سلم هذه التكية حوض من الرخام الأخضر قطعة واحدة وهو مستطيل الشكل يشبه السفينة. وفي الزمان الخالي كان يركب هذه السفينة الحجرية أربعة أشخاص يعبرون فيها النيل ذهاباً وإياباً، وإذا ما ركب فيها خمسة غرقت وقد جعل لها الكهنة القدماء طلاسماً على هذا الأساس، وقد عرف الناس طبيعة هذه السفينة فكانوا يخافون ركوب أكثر من أربعة فيها، وكان من يركبونها يمضون في سرعة البرق الخاطف.

وإلى عهد «كافور الإخشيدى» كانت تلك السفينة تغدو وتروح فى النيل فى طرفة العين. وذات يوم عندما علم كافور الإخشيدى أن هذه السفينة من الحجر والحجر من طبيعته أن يرسب فى الماء فصاح قائلاً: كيف إذن لسفينة من الحجر أن تغدو وتروح منذ مئات السنين فى النيل وهى تحمل أربعة رجال ما السر فى ذلك يا ترى؟ فأمر رجاله بشد السفينة من النيل إلى اليابسة فشاهد طلسماً أسفل هذه السفينة وكان عبارة عن سطر باللغة العبرية وصورة سمكة وصورة شعير ولا شىء سوى هذا فاستدعى جميع علماء مصر فما استطاعوا فك رموز هذا الخط. ثم أعادوا السفينة الحجرية إلى شاطئ النيل وركب فيها أربعة أشخاص ودفعوا بها فى النيل فغرقت بمن بها. وربما تكون غرقت بسبب بطلان تأثير طلسمها عندما أخرجوها إلى اليابسة أو أن يكون أحد قد تعلق نظره بها فحسدها.

وهذه السفينة الحجرية المذكورة موجودة إلى الآن أسفل سلم زاوية السلطان الجاولى وهى حوض مملوء بالماء الزلال ليل نهار وتشرب منه دواب الغادى والرائح، ومع ذلك يظل ممتلئاً، ولا يعلم من أين يأتى ماؤه. ولوقوع هذا الحوض على الطريق الرئيسى لبولاق فهو يسترعى نظر المارة. وعلى الجوانب الأربعة لهذا القارب كتب ترتيب ديوان سيدنا سليمان - عليه السلام - وكتب أسماء كل ذى روح من إنس وجن وحيوان وطيور وكان هذا الخط خط بهزاد وشاه قولى. إنه ديوان يستحق المشاهدة يخلب لب من

يشاهده، ويتسع لعقد مائة ديوان فى آن واحد. وحكم الإنسان والجن والوحش والطير لم يدم لسليمان. تلك هى الدنيا التى لا تدع شيئاً إلا ما سوى الله. اللهم يسر.

### من خواص أحجار مصر

ثمة حجر لامع يضرب لونه إلى الحمرة يوجد فى الجبل الأخضر بمصر، إذا ما وضع هذا الحجر فى أفران الخبز أكسب الخبز حمرة وعجل بنضجه. إلا أننى لم أشاهد ذلك ولكن نقلت ذلك عن بدو البهيجة وحنادى عندما ذهبت لتسجيل أسماء حجاج المغرب بتكليف من إبراهيم باشا فى حوش عيسى، كما قالوا إنه يوجد كذلك لدينا فى «عز الدين».

### طلاسّم أم القياس

على الجوانب الأربعة لحوض أم القياس خط غريب عجيب بتأثيره ما إن يحل شهر «توت» القبطى إلا وتسقط النقطة فى بداية هذا الشهر ويفيض النيل.

- طلاسّم آخر:

أقام سيدى الشيخ البطرانى هيكل تمساح فى حوض أم القياس ورسم على صدر هذا التمثال طلاسّم، ومنذئذ لا تمر التماسيح من أم القياس، وإذا ما مر تمساح مع فيضان النيل انقلب على ظهره ونفق. وفى تلك الأماكن يتلع التمساح من خوفه الحجارة فيثقل إلى أن يمضى فيضان النيل وتصفو مياهه ويهبط التمساح إلى قاع النيل ويعيش على الطين طيلة ثلاثة أشهر ثم يعود من أم القياس وينجو بذلك من الطلاسّم.

### من تنبؤات المنجمين

ثمة دير عظيم عند باب القصر بمدينة القاهرة، وهو الآن مدرسة، وصنع كهنة السلف فى هذا الدير وجها من النحاس عليه نقاب مذهب، ونبى آخر الزمان يكون صاحب هذا الوجه وسيكون لأمته ملك مصر يقيمون فيها العدل، ومن سيفتحها من الرجال بعده ﷺ عام ١٨ هو عمرو بن العاص وزير الفاروق عمر بن الخطاب هذا ما ورد ذكره على الرخام الأبيض لصورة شخص ذى خرقه صفراء فوق جمل أبيض وعلى صورة سيدنا محمد ﷺ كتب على الرخام الأبيض آية من الإنجيل باللغة اليونانية معناها هو :

أن هذا الرجل من أبناء آزر وهو نبي واسمه محمد يملك الدنيا والآخرة.  
ولكن عندما حاصر عمرو بن العاص مصر طمس النصراري صورة سيدنا عمر  
للتفوشة على الرخام.

### طلاسم القلعة الداخلية

في قاعة ديوان قلاوون بالقلعة الداخلية ثمانية وأربعون عمودا ينتهي كل منها بطلاسم  
عظيم وقد سبق ذكر ذلك في مجمل حديثنا عن أوصاف القلعة الداخلية.  
وفي مصر مئات الآلاف من المعجائب والغرائب رأيت منها مئات تخلب لب من  
يشاهدها والله أعلم.

### ذكر ما في مصر من أطعمة وأشربة ونباتات

#### وثمار لا وجود لها في بلاد الترك

في مصر سبعة عشر نوعا من التمر لا وجود لها في بغداد ولا البصرة ولا الإحساء  
فهى لا وجود لها إلا في مصر وحدها وهى غاية فى لذة الطعم.  
النوع الأول: وهو التمر الأبيض ومنه ثلاثة أنواع، منها نوع مستطيل يشبه تمر بغداد  
ذى النواة وهو كالسكر وهو كذلك رطب يذوب فى حنك الإنسان.  
النوع الثانى: وهو أقصر منه ونواته فى حجم حبة القمح وهو كذلك رطب مثل  
ثمر المشمش.

#### والنوع الثالث: أبيض عادى تبعث منه رائحة المسك.

إلا أن هذه الأنواع الثلاثة من التمر تجف من شدة الحر، ولا تحتل النقل من بلد إلى  
آخر لأنها طازجة رطبة، تباع رطبة طازجة ولكن لا تباع على النطاق الأوسع.  
وهناك «التمر الأصفر» وهو كذلك له أنواع وهو غاية فى لذة طعمه وهو لا يجف  
طالما كان نظيفا ويباع طازجا.

وهناك كذلك «التمر الأحمر» وله أنواع خمسة منها نوع بلدى وهو تمر نظيف لطيف  
يرتوى بماء النيل فى مدينة القاهرة ومنه ما يسمى السلوانى والمدنى والحموى والشامى  
والبستانى والرطب منه غاية فى اللذة وهو مقو. وعلاوة على هذه الأنواع هناك نوع

بنفسجي اللون ينضج فوق نخيله فيصبح مثل «المصطكا» وهو غاية في اللذة .  
و«التمر الأسود» ثلاثة أنواع، منها نوع جاف ثماره كالحصى، يضعونه في جلود الإبل ليحمل إلى القاهرة وغيرها من البلاد، ولو ترك في موضع خمس سنوات لما فسد ولا تستطيع الفأرة أن تأكله . وفي البلاد الأخرى ينقع في الماء ويؤكل فهو غاية في اليبوسة .

وهناك نوع من التمر هو «التمر الصعيدى» ومنه نحو عشرة أنواع . كما أن التمر الأسوانى لذيذ الطعم . وفي مناطق أسوان والشلال هناك «تمر العاص» ونخلاته تنمو من نواة واحدة حتى تناطح السحاب، وتمر العاص هذا ينفرق عذقا عذقا، وأوراقه مفلطحة وثمرته تزن سبعين درهما أو مائة وهى فى حجم قبضة اليد، ونواته مفرغة يضعون فيها الفلفل، وثماره ليست لذيدة الطعم يأكلها الفلاحون، ويملاون زنايبيلهم بتمر «الطين» ويحملونها من ولاية إلى ولاية .

وهناك «التمر القدرى» وهو نوع من التمر يشبه التمر «العقيق اليمنى» وهذا النوع صغير الحجم، لذيذ الطعم إل أبعد حد، ويصدر بكميات ضخمة فى زنايبيل إلى اسطنبول وسلايك وغيرها من البلاد .

ونوع آخر من التمر يسمى «التمر البرلسى» وهو تمر أحمر اللون كبير الحجم مستدير الشكل لا يقبل الناس على أكله، وهو رطب يضعونه فى الجرار ويصنع منه «الكامخ» فيصبح غاية فى لذة الطعم، ويفصلون حامضه عن طازجه ويصنعون منه الخل .

والخل يصنع كذلك من جميع التمور إلا أن الخل المصنوع من هذا النوع غاية فى الجودة .

### كامخ البصل

ورائحة كامخ البصل فى مصر تكاد تقضى على الإنسان، إلا أنه يفيد الفلاحين كثيرا فهو طارد للبلغم .

## الجبن القديم

يضعون الجبن فى الملح ويظل فى الجرة خمسة أشهر أو أكثر وعندما تفتح هذه الجرة تنبعث منها رائحة إذا ما شمها تركى تعلق بأذيال الفرار فهى رائحة تكاد تكون قاتلة . أما العرب فيحضرون جرار الجبن القديم ويقطعون الخبز ويضعونه فى ماء الجبن وفيه الديدان وكأنها «خشاف» ويضعون فيه الديدان المسلوقة ويأكلونه ويدعو بعضهم بعض إلى هذا الطعام .

## الليمون ( ترياق السموم )

إنه ليمون صغير مستدير أصفر، إلا أنه مملوء بالماء الصافى، وتباع المائة ليمونة منه بپاره واحدة، إلا أنه ترياق للسم وينقذ حياة المسموم .

## الليمون الحامض

وهو كذلك موفور فى مصر، ويأتى على مصر أحد العاملين فى مصنع الحلوى بالأستانة لعصر كميات من هذا الليمون وصنع مئآت الزجاجات من الشراب المسك للسلطان .

وهناك «النارنج» إلا أنه حامض، والليمون الحلو كثير، وهناك التين والرمان وسبعة أنواع من العنب والخوخ والمشمش، ولا وجود للمشمش «اللوزى» وهناك البرقوق والزيتون إلا أنهما قليلان، وتأتى الكمثرى والسفرجل بكميات ضخمة من الفيوم . وتأتى السفن من طور سيناء إلى السويس محملة بالتفاح والكمثرى والسفرجل وتحملها الجمال إلى القاهرة لأن التفاح فيها قليل، أما الموز فموفور، أما الجسميز فهو وفير جدا ولا تنمو ثمرته على الأغصان وإنما على الجذع الضخم، إنها شجرة عجبية، لها ثمرة تشبه ثمرة التين، والأبيض والأصفر والأحمر منها غاية فى لذة الطعم، وإن كانت تبدو فى هيتها كأنها ثمرة تين إلا أن داخلها مفرغ ولا بذرة فيها . وتنمو المائتان والثلاثمائة من شجرة فى موضع واحد، ويباع محصول مائة شجرة بپاره واحدة . وهو فى جنبه مشقة يصعد الناس شجره بسلم قبل أن ينضج ويختنون كل ثمرة بسكين فتنضج الثمرة لذيدة الطعم وإذا لم تختن الثمرة فهى لن تكون لذيدة . إنها ثمرة لها رائحة المسك، سهلة الهضم ومقوية .

ولكى لا يأكل العصفور هذه الثمار يحيطون الجذوع المثمرة بشبكة صيد فتأمن من الطيور، وظل هذه الشجرة بقعة طيبة النسيم لا تنفذ إليها حرارة الشمس ومن استراح في ظلها شعر بالنشاط وكأنه لم يتم.

### فاكهة النبق

في حجم ولذة ثمرة الـ «الج» في تركيا، إلا أن الثانية داخلها ست بذور في حين أن في النبق بذرة واحدة، وهي تنمو في موسم الشتاء وثمره في حجم ثمرة الجوز، ومنها الأحمر والأصفر والوردى، وهي شجرة مرتفعة تعمّر طويلاً وفي تكية «منصور الأنصاري» بمصر القديمة شجرة نبق سامقة عمرت ألف عام وتؤتى أكلها في كل وقت نواة النبق كنواة الكرز ولذلك يسمون كرزنا النبق وطبيعته قابضة.

### فاكهة (١)

إنها فاكهة عجيبة في لذة تمر طرايبزون في بلاد الترك ولكنها لزجة في فم الإنسان كأنها الغراء، إلا أنه لذيذ مقو وأشجاره سامقة.

### الخيار شنبه

أشجارها تشبه شجر الجوز وأوراقها كذلك تشبه أوراقه، وله أزهار صفراء. ثمارها طويلة كالسوط يبلغ طولها ذراعاً أو ذراعين، وهي تشبه الثعبان في طولها وفي أول نموها تكون خضراء وعند نضجها يسود لونها ويدخلها عقد من العسل الأسود. يضيفها الأطباء إلى المعاجين، فهي ملينة، كما يصنع منها المربى وبعض الأدوية الجيدة. وعندما تكون الثمرة ما زالت زهرة صفراء يصنعون منها الخميرة والمربى. إنها فاكهة مفضلة لدى العوام من الناس وخواصهم. إلا أن كل أشجارها تحتكرها الحكومة وأصحابها لا يستطيعون قطف ثمرة من ثمارها فهي أمانة عندهم للحكومة وتدفع لأصحابها أفجة واحدة على السبعة عشر حملاً منها، وثمارها تحت تصرف الحكومة، وتصدرها للملك الأستانة، وتحصى ثمارها ثمرة ثمرة وهي ما زالت فوق أشجارها ويقيد ذلك في دفاتر حتى إذا ما نقصت منها ثمرة غرّم صاحب البستان.

(١) بياض في الأصل.

### شجرة السرو

وهو فى مصر كثير ، كما توجد شجرة «دلب الفسوق» وهى موجودة فى حديقة «نقيب الأشراف» ، وشجرة «الصنوبر» وهى كذلك موجودة فى حديقة نقيب الأشراف ولا وجود لسواها .

### شجرة الجوز

شجرة فى حقل ندير أفا فى عمق قلعة الكباش ولا وجود لسواها ولكنها تكثر فى مدينة الفيوم .

### شجرة السبحة

قريبة الشبه من شجرة الجوز إلا أن أوراقها صغيرة، تنمو على غصونها التى تشبه السبحة . وتثقب ثمارها عندما تنضج وتصنع منها السبح، ومن يشاهدها يعجب لإبداع المخلوق قائلًا: سبحان الله الذى خلق هذه الشجرة المستديرة التى تصنع منها السبح لذكر اسمه .

### شجرة السنط

أشجار سامقة فى غلظ رَجُلين، أوراقها كأوراق شجرة الكرز إلا أنها لا تؤتى ثمارًا. تصنع السفن من خشبها وتحرق وقودًا، ولا رماد لها، وجمارها حمر. إنها شجرة صلبة، تستخدم أوراقها لعلاج الإسهال، فتدق فى الهاون وتخلط بالعسل وإذا ما تناول شخص خمسة دراهم من هذا الخليط على الريق شفى من الإسهال. وأخشابها غاية فى الصلابة حيث تصنع منها سفن تعمر مائة عام فى البحار. وبعض الأبنية العتيقة التى مضى على بنائها ألف عام أو أكثر أسسها من هذا الخشب. ومن ثم لا وجود لأشجار فى صلابة السنط والبقس، ومن الناس من يسميها «أشجار العالم الجديد»، إلا أن جو مصر يغير لونها.

### شجرة الساج

ليست شجرة كبيرة، أوراقها كأوراق شجرة الكرز وهى دائمة الخضرة، تكثر على ضفاف النيل وهو شجر يقبل أهل مصر على زراعته، إلا أنه لا يؤتى ثمارًا.

### شجرة الحناء

شجرة فى حجم شجرة البرقوق التى فى بلاد الترك، ولها نوع خاص من التور زكى الرائحة، ويقدمها البستانيون هدية إلى الأعيان، ولكن ليس لها ثمار، إلا أن رائحتها تهب الروح. وهى ليست الحناء التى تستعملها النساء.

### شجرة الحناء (حناء يد وقدم النساء)

تكثر فى مدينتى بليس والقرين، إنها أشجار قصار، ترتوى على الدوام بماء السواقى ويجمعها النساء والأطفال فى موسم حصادها يقطفون أوراقها وتطحنها الطواحين وتصنع منها الحناء فتصبح فى لون الياقوت الأحمر. وكنت أسرُّ عندما أشاهدها فى كعب العجايز من نساتنا.

### شجرة الصفصاف

وهى كثيرة، وأوراقها مفيدة لمرضى اليرقان، فتسحق أوراقها فى هواوين خشبية لاستخلاص مائها، وإذا شرب مريض منه كأسا فى ليلة مقمرة شفى من اليرقان فى الصباح.

### شجر الحور

يوجد فى البساتين هنا وهناك.  
وشجر «العُلكِ الأسود» منتشر هنا وهناك كذلك.

### شجر التوت

وثماره منها الأبيض والبنفسجى والأسود الحامض، إلا أن أشجار التوت المحيطة بقصر ذى الفقار بك أمير الحج على ضفة بركة الفيل لا نظير لها فى الدنيا، بأسرها وجذعها فى غلظ أربعة أشخاص وأغصانها تظل ما حول القصر وتحت جميع أغصانها أكثر من أربعين عمودًا وظلالها كأنها قاعة ديوان عظيمة. وعلى مصطبة تلك الحديقة مكان يتسع لتناول ألفين طعامهم. وثمارها لذينة الطعم كأنها اللؤلؤ، وهى غزيرة العصير.

ومجمل القول أنه لا وجود لمثل ثمار هذه الحديقة فى الدنيا.

### شجر الآس

إنه كثير إلا أنه لا يثمر كآس حلب.

### شجر (اتله)

أوراقها كأوراق شجرة السرو إلا أن خشبها ليس مثقوباً كخشب السرو، كما أنها كذلك لا تثمر، ويستخدم خشبها في أعمال البناء، كما تستخدم حطباً.

### شجر التمر الهندي

ينتشر هنا وهناك في الحدائق، وهو يثمر.

### شجر الجميز

ذكر آنفاً.

### شجرة السيسبان

إنه نوع من الأشجار الصغيرة التي لا تعمر طويلاً، يزرع حول حقول قصب السكر، ولتورته رائحة إذا ما شمها الفأر أو ابن عرس لم يدخل حقل القصب ليأكله، ويضاف فحم هذه الشجرة إلى البارود.

وكب من أشجار أخرى توجد في مصر إلا أن الكلام بذكرها يطول، لذا اكتفينا بذكر ما سلف من أشجار.

\*\*\*